



الدكتور نوري جعفر فكرا وممارسة

صبري هادي

هناك خط فاصل وتغيير جذري في تفكير العالم الراحل الدكتور نوري جعفر قبل وبعد ثورة 14 تموز 1958، فمن يطلع على مؤلفات الدكتور نوري جعفر قبل 14 تموز سيعرف بأن الدكتور لم يكن خاضعا لمنهج معين ، كما لم يتبن اتجاها فكريا واضحا.

لقد بدأ مشروعه الثقافي بترجمة كتاب براتراندرسل (السلطة والفرد) عام 1951. ولم يكن الفيلسوف الانكليزي الشهير (رسل) معروفا في الاوساط الثقافية آنذاك عند ترجمة كتابه المذكور.. أتبعه بكتابه (التربية وفلسفتها) 1952 وفيه نقد لاذع للماركسية ثم اصدر كتابه (جون ديوي) عام 1954 ثم صدر كتاب (التاريخ مجاله وفلسفته) عام 1955 تبعه في الصدور كتاب (العلوم الطبيعية) عام 1955 كما الف كل هذه الكتب قبل 14 تموز (علي ومناوئوه) و(الصراع بين الامويين والاسلام) و(فلسفة الحكم عند الامام). هذه الكتب اهم ما صدر للدكتور نوري جعفر قبل 14 تموز. ومن اللافت للنظر ان المؤلف لم يذكر الكتب الثلاثة الاخيرة ولا كتاب التربية وفلسفتها في ثبت مؤلفاته التي اعتاد رسمها على اغلفة مؤلفاته التي نشرها بعد ثورة 14 تموز. وبكل جلاء فان هذه المؤلفات لم تكن متناغمة مع الماركسية التي اقتنع بها بعد 14 تموز بل كانت مقارباته في تلك المؤلفات تتناقض وتتقاطع مع الماركسية. وللحقيقة فان الدكتور نوري جعفر خاض الانتخابات البرلمانية التي اجراها رئيس الوزراء ارشد العمري عام 1954 تحت مظلة حزب الامة الاشتراكي الذي كان يترأسه صالح جبر.. وقد ائتلف الدكتور نوري مع عامر حسك في المنطقة الانتخابية التي تشمل قضاء القرنة وناحية المدينة. وكان عامر حسك واحدا من العسكريين الذين سجنوا ثم فصل من الخدمة العسكرية لأنه وقف الى جانب العسكريين الذين التفوا حول رشيد عالي الكيلاني رئيس الوزراء المعروف الذي قاد حركة مايس 1914. وكان عامر حسك شخصية مثقفة ومعروفا باتجاهه القومي وخلف بعض الكتيبات منها كراسه الموسوم بـ (اهواء جنوب العراق). وعلى كل حال فقد خاض كل من الرجلين تلك الانتخابات كما اشرنا سابقا ضمن مرشحي حزب الامة المعروف باتجاهه اليميني وحظيا بتأييد قوي جدا في منطقتهم الانتخابية اضطر السلطات المحلية، بايعاز من الجهات العليا في الدولة الى تزوير الانتخابات عنوة وبقوة ازيز الرصاص لصالح مرشحي حزب الاتحاد الدستوري الذي يتزعمه آنذاك نوري السعيد، لأن ذينكما الحزبين اليمنيين كانا مختلفين في تلك الفترة وأودع كل من الدكتور نوري وزميله عامر حسك الامارة السجن مع العشرات من اتباعهما وخسرا تلك الانتخابات. بعد ذلك حصلت مقابلة بين الدكتور نوري جعفر وارشد العمري رئيس الوزراء وكانت المقابلة متشنجة ومتوترة فصل بعدها نوري جعفر كاستاذ في دار المعلمين العالية (كلية التربية حاليا) لمدة سنة. وقد نشر الدكتور نوري جعفر ما دار بينه وبين رئيس الوزراء من مشادة في جريدة لواء الاستقلال لسان حال حزب الاستقلال الذي كان يترأسه مهدي كبة. وكان ذلك الحزب من الاحزاب المعارضة للنظام آنذاك.. ولم ينشر تلك المقابلة في جريدة الامة لسان حال حزب الامة الذي كان ينتمي اليه الدكتور نوري جعفر ولم نعرف بواعث ذلك. وعمل الدكتور نوري جعفر بعد فصله في المدرسة الاهلية في بغداد ، ومثل هذه المدارس الاهلية كانت منتشرة في عموم العراق حتى انقلاب 17 تموز 1968 حيث الغيت جميع المدارس الاهلية والجمعيات التي تشرف عليها وضمت تلك المدارس الى وزارة التربية. ان الدكتور نجاح هادي كبة في كتابه (الدكتور نوري جعفر) لم يكن دقيقا عندما ذكر ان عمل الدكتور نوري جعفر في المدرسة الجعفرية الاهلية كان عقب فصله بعد انقلاب 8 شباط 1963 وبوساطة عبد المهدي المنتفكي. لأن الاخير كان من اقطاب حزب الامة الذي يتزعمه صالح جبر وربما كان الشخص الثاني في سلم قيادة ذلك الحزب وكان نوري جعفر متقاطعا فكريا مع هذه الجهة في هذه الفترة وكما اشرنا اليه سابقا. كما ان الدكتور نجاح هادي كبة غير دقيق عندما وصف صالح جبر متصرفا لكربلاء عام 1953 كما ان هناك اضطراباً في تاريخ بعض الكتب التي اصدرها الدكتور نوري جعفر. بعد ثورة 14 تموز انفرط العقد الذي ضم هذين الرجلين، فاصطف عامر حسك الامارة مع القوى القومية وعين مديرا عاما لشرطة محافظة البصرة. وفي العهد العارفي عمل محافظا لكل من مدينة السليمانية والناصرية واحيل إلى التقاعد بعد انقلاب 17 تموز وقضى سنيه الاخيرة في قرية الترابة التابعة لقضاء المدينة الحالي وتوفي في منتصف الثمانينيات، وللحق والانصاف ومع اختلاف صاحب هذه السطور مع الرجل في توجهاته السياسية فقد كان الرجل موصوفا بالنبل والنزاهة. اما الدكتور نوري جعفر فقد قضى مغدورا به في حادثة قتل لئيمة ومجرمة في ليبيا كما هو معروف. وكما اسلفنا فقد مال الدكتور نوري جعفر بعد ثورة 14 تموز الى الماركسية والى المعطيات المادية يوضحها ويفسرها ويدافع عنها ويسفه مناوئيها، وجعل (بافلوف) عالم النفس والبيولوجيا مركز دراساته وكتبه، واذا ابتعد عن بافلوف قليلا، فغايته كانت الاثبات بمزيد من الحجج والبراهين التي تدعم وترسخ ما اكتشفه ذلك العالم الكبير. وبسبب الاحباطات التي سببتها السياسة للدكتور نوري جعفر فقد عزف الدكتور عن استعمال المصطلحات المثيرة او القريبة من عالم السياسة وافرغ كل جهده الفكري للدفاع عن المفاهيم الفكرية المادية ومفتاح مشروعه كان (بافلوف) وكشوفاته. ولا ننسى ان الدكتور نوري جعفر قد تعرض الى عنت واضطهاد القوى التي تكره هذا التوجه ومن اولئك من كان صديق الامس وعندما وقع انقلاب 8 شباط الاسود كان الدكتور نوري جعفر واحدا من ضحاياه فأودع السجن مع الكثير من الجامعيين المثقفين البارزين امثال العالم الجليل الدكتور عبد الجبار عبدالله والدكتور مهدي المخزومي والدكتور علي جواد الطاهر والعلامة طه باقر وعالم الاجتماع عبد الجليل الطاهر وبالمحصلة، فقد تم فصل ما يقارب المئة والخمسين من اولئك الجامعيين من وظائفهم. ومن الغريب ان جل هؤلاء المثقفين اليساريين احتضنتهم المملكة العربية السعودية زمن الملك الراحل فيصل بينما لم تحفل بهم الحكومات العربية التي كانت توصف آنذاك (بالتقدمية) اما الدكتور نوري جعفر فقد طاب له المقام في ليبيا.

وفي السبعينيات من القرن الماضي وبعد قرار اعادة المفصولين الى وظائفهم وصدور قانون عودة اصحاب الكفاءات عاد الدكتور نوري جعفر مع الكثير من اقرانه الى العراق ثم اغترب في ليبيا بعد اعلان الحصار وكانت نهايته المحزنة.